عزف «كونشيرتو اندلسية» مع أوركسترا الشباب العربي الفلهارموني

مارسيل خليفة: شعبنا آثر المواجهة والموسيقى شكل من المقاومة

مارسيل خليفة

دمشق ـ «القدس العربي»

ـ من يارا بدر:

أشرقت على لبنان الصباحات الأولى بعد مجزرة «قانا» الثانية، وامتزجت على الساحة اللبنانية الأغاني الوطنية المضمخة برائحة الدم المحروق، كما يتردد في أثير سورية مجموعة محددة من الأغاني الوطنية التي تعاد بشكل شبه دائم للفنانة جوليا بطرس أو السيدة فيروز أو الفنان مارسيل خليفة، مع غياب واضح لأغنية الراحل اللبناني الكبير زكي ناصيف «راجع يتعمر.. راجع لبنان»، فالحرب ليست لأجل لبنان، ولبنان أعلن بلداً منكوباً، مع أسف «كوندوليزا رايس» على ضحايا المجزرة، الذين يتواصل حتى هذه اللحظة ارتفاع عددهم، وغالبيتهم من الأطفال...

أمام عنف الحرب ولا منطقيتها الأخلاقية أو الإنسانية، نبقى كأفراد مُجرّد شهود على هؤلاء الذين قتلوا بلا ذنب، حتى الرأي لم يكن لهم ليقتلوا بسببه، بشر كانت لهم أحلامهم وحيواتهم، وحتى قصصهم ولكنهم غدوا منذ تاريخ 2006/7/29 مُجرّد أرقام خارج التاريخ وخارج الحياة...

كي لا يغيب الإنسان بكل المعاني، من وجوده الفعلي، وحتى وجوده الرمزي أو الأخلاقي أو سواه، صدحت الموسيقى في سماء دمشق، هذا الشكل الروحي القادر على حمل المشاعر والأحلام، وحتى على رسم صور أولئك الغائبين في موشور الحسابات الإعلامية والسياسية والتاريخية... عزفت هذه الموسيقى «كونشيرتو أندلسية» للفنان اللبناني «مارسيل خليفة»، مع أوركسترا الشباب العربي الفلهارموني، وعلى العود الشاب المصري «أحمد الخطيب» البالغ من العمر /15/ عاماً، بقيادة المايسترو الألماني «فالتر لودفيغ ميك».

سبق ذلك انعقاد المؤتمر الصحافي المخصص للإعلان عن انطلاقة أوركسترا الشباب العربي الفلهارموني بدار الأوبرا في دمشق مساء يوم الخميس 2006/7/27 بحضور د. نبيل اللو مدير الدار، د. محمد فوزي الشامي مدير الأوركسترا والأستاذ بأكاديمية الفنون بالقاهرة، الأستاذ سهيل خوري مدير معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى ورئيس ملتقى معاهد الموسيقى في العالم العربي، المايسترو فالتر لودفيغ ميك، والفنان مارسيل خليفة.

بداية كان التعريف بهذا المشروع الثقافي وهذه الاوركسترا، التي هي أول أوركسترا من الشباب العربي تمتلك التقنية الفنية القادرة على تقديم الأعمال العربية والغربية بجودة عالية، وحرفية لا تنبع سوى من الاختصاصين.

الفنان مارسيل خليفة اكتفى بالقليل في حديثه، معبراً بصوته الهادئ عن أنّ الكلام يضيع أمام الموسيقى، لأنها اللغة الإنسانية التي تتفاعل وتتأثر معها وبها كل شعوب العالم على اختلاف جنسياتها وثقافاتها.

«شعبنا آثر المواجهة ولم يرض الاستسلام، وإلى جانب هذه الروح القتالية المقاومة، وجدت مجموعة من الشباب العربي الذين حققوا تلك الوحدة الموعودة بشكل أو بآخر في الفرقة المتميزة، ولكن وبسبب الظروف الصعبة لم تستطع كل الدول العربية المشاركة.

وأنا أعتبر أنّ هذا العمل الموسيقي هو شكل من أشكال المقاومة، فالمقاومة لا تكون دوماً عسكرية وبالسلاح، بل يُمكن أن تكون أيضاً ثقافية وبالفن. وهذا العمل النوعي يأتي في مرحلة ضرورية لنقول «لا»... هذا العمل كإضاءة شمعة وسط الظلام الدامس المحيط بنا كعرب، وقد لا نرى ضوءها الآن، ولكن مفعولها سيكون أقوى غداً.

وأمام التخاذل العربي الذي نشهده جميعاً من قبل الحكومات والسياسات العربية، فإنّ الموسيقى كانت قادرة على أداء دور فاعل ومؤثر في جمع الشتات العربي، ليتخذ هذا الشباب العربي عبر الأوركسترا شكلاً من أشكال الوحدة الخاصة والنوعية، فهي وحدة لا تهدف لمصالح سياسية بقدر ما هي إنسانية، وهي كأوركسترا شبابية عربية الأولى من نوعها في عالمنا العربي، تعمل برهافتها على قول «لا» للقذارة والبؤس الذي نعيش فيه».

حول معزوفته «أندلسية» علق الفنان خليفة: «كي لا نبكي مرّة أخرى على أندلس أخرى علينا أن نقول «لا»، وبصوت عال ضدّ كل ما يحدث، وأنا أقدم المقطوعة لكل الأطفال الذين يدافعون عن الأرض بأجسادهم، ولكل من سقط على التربة...».

من جانبه نوّه الأستاذ سهيل خوري بأنّ هذه المعزوفة ستعزف لأول مرة في الوطن العربي، ومن قبل فرقة عربية بكامل أعضائها... وهو يرى أنّ هدف هذه الأوركسترا هو التأثير والتغيير في الحالة الموسيقية العربية، وهذه الاوركسترا تجسّد اليوم اللقاء العربي الحقيقي الذي فشلت السياسة العربية عبر تاريخها المجيد بتحقيقه، «فهي وقفة موسيقية بدل وقفة الحكومات العربية المتخاذلة أمام نيران العدوان الإسرائيلي الغاشم». وبدوره قدّم الأستاذ خوري هذا العمل لدعم صمود الشعبين اللبناني و الفلسطيني.

حول بدايات هذا المشروع أوضح الأستاذ خوري أنّ هذه الأوركسترا تأتي بعد سنتين ونصف على تأسيس ملتقى معاهد الموسيقى في العالم العربي، وهذا النشاط يقوم على اختيار مجموعة من الطلاب العازفين من كافة الدول العربية للمشاركة في ورشة عمل خلال الصيف لمدة خمسة عشر يوماً على أيدي أساتذة متخصصين، وفي نهاية هذه المدة تقدم الأوركسترا مجموعة من الحفلات التي تشمل أعمالاً أوركسترالية عربية وعالمية، كما تشارك الأوركسترا في المهرجانات والمحافل الدولية.

وأضاف في سياق حديثه على مجموعة من المعاني التي يحملها هذا المشروع الثقافي النوعي، انه يشكل حالة خاصة تسمح بزيادة الترابط وروافد الاتصال بين الشباب العربي الذي يعاني اليوم الكثير من التشتت والضياع والفردانية، كذلك يخلق هذا المشروع تجمعاً إنسانياً شبابياً يُشارك كل فرد فيه في العمل الفني، وستكون أعمالاً فنية رفيعة المستوى، والبداية كما رأينا مع معزوفة الفنان مارسيل «أندلسية» بكل ما تحيل إليه هذه المعزوفة من معان واعتبارات تمسّنا نحن العرب في خصوصيتنا وتاريخنا. وهذا العمل من خلال الورشات الفنية التي يُقيمها يتيح مجالاً واسعاً لتطوير قدرات شبابنا العربي الفنية والتقنية على أيدي الأساتذة المتخصصين، ففي ورشة العمل الأولى شارك كل من البروفسورة «تاتيانا صالح» أستاذ الفيولينة بأكاديمية الفنون في القاهرة وقائد الاوركسترا «سوزانا بلنجهارون» من جامعة «بون» الألمانية.

حول اختيار الطلاب: «تمّ اختيار الطلاب العازفين من خلال اختبار استماع أجري لهم في شهري شباط (فبراير) وآذار (مارس) الماضيين أمام لجنة مختصة».

كلمة بروشور الحفل كتبها د. محمد فوزي الشامي، وحوت على تعريف بالأوركسترا وقائدها، وتعريف بكل من الشباب أحمد الخطيب وكريم سمير صالح، إلى جانب أسماء الطلاب العازفين وآلاتهم الموسيقية وجنسياتهم العربية المختلفة، وأخيراً برنامج الحفل.

بدأت الكلمة بالإهداء «تضامناً مع الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني»، وتحدث فيها د. الشامي عن سبب اختيار دمشق مدينة عربية تحتضن الدورة الأولى لهذه الأوركسترا الوليدة على الرغم من كل الاضطراب الذي يُخيّم على سماء بردى !!

قرابة مئة شاب وشابة قدموا إلى دمشق من العراق وفلسطين والأردن ومصر ولبنان والسودان ليشاركوا في هذا الحفل الشبابي العربي الكبير غير آبهين بالنيران والقذائف التي تتساقط كل ساعة هذه الأيام على شعب لبنان وفلسطين، قدموا ليعلنوا جميعاً ومن قلوبهم غضبتهم الصارخة في وجه الاعتداء الإسرائيلي الأعمى والغاشم والغادر على ديارنا وأعراضنا ووطننا متضامنين ومتلاحمين مع الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني».

في ختام حديثه وجّه د. الشامي رجاءه إلى كل الملحنين والمؤلفين الموسيقيين العرب للتأليف لهذه الأوركسترا.

كما نوّه الفنان خليفة بضرورة دعم حفلات ونشاطات هذه الأوركسترا مادياً ومعنوياً واعلامياً لضمان استمرارها وتقدمها، قائلا «أعتقد أنّ هذه المشاريع يجب أن لا تنحصر بحدث معيّن أو جانب مُحدد، بل من المفروض أن يتعزز العمل العربي في جميع الجوانب والاتجاهات ضمن رؤية مؤسساتية دائمة ومستمرة تشمل جميع الدول العربية وفق برنامج واضح، ويمتلك جميع المقومات اللازمة من أجل الاستمرار. فلا يُمكن أن تستمر الأوركسترا من ريع البطاقات وحدها، فلا بدّ من وجود مؤسسات ذات رؤية ثقافية ولديها قناعة بوجوب دعم المشاريع الثقافية والفنية في العالم العربي لكي يبقى العمل مستمراً».

الفنان مارسيل خليفة يشهد له تاريخه الفني بالالتزام الأخلاقي والثقافي، وهو لم يفصل بين التزامه الإنساني وواقعه وبين التزامه الفني وأغانيه، وحول هذه النقطة أضاف «يتجسّد الالتزام في البحث الدائم عن الجملة الموسيقية الجيدة، والسياسة موجودة في كافة جوانب الحياة، ولهذا فكل شيء مرتبط بها بشكل ما، المهم أن نعي ما نقول ونشاهد ونسمع لُنتمكن من الصراخ بأعلى صوتنا «لا»... وأنا أعترف بالدور السلبي الذي يلعبه إعلامنا العربي في هذه الأيام، إلا أنّ العمل الحقيقي سيفرض وجوده مهما كانت الظروف واشتد الإسفاف من حولنا».

ومارسيل الذي غنى الوطن والأرض والأم والحبيبة، كما غنى الشهداء والثوار والإنسان في الزمن الضائع، أعلن عن مشروعه القادم بالغناء للأطفال، احتمالات الفرح التي يقتلها العدوان الإسرائيلي كل يوم... وربما تنبأ الفنان خليفة بالمجزرة القادمة التي راح ضحيتها الأطفال بغالبية الأرقام. ولكن وعلى الرغم من هذا الألم فإنّ الأمل بالنصر سيبقى قائماً ما دمنا نعمل عليه.

سنة /1492/ تاريخ اكتشاف أميركا، وسقوط الأندلس، يومها قالت أمّ لولدها «لا تبكِ كالنساء مجداً لم تحفظه كالرجال»، هذه الكلمة التي وشمت التاريخ العربي وحتى اليوم، تدفعنا للتساؤل: هل «ابو عبد الله الصغير» هو من فرط بمجد العرب والأندلس؟ أم أنّ تاريخاً طويلاً من الفساد والانحدار قد سبقه، ليقود الأندلس إلى النهاية التاريخية المحتومة؟ وهو لم يقو على أكثر من تسليم المفتاح وإسقاط دمعة!!

ربما حين نقرأ تاريخنا دون أن نظلم فرداً أو نقدس آخر على صيرورة تاريخ كامل، نقرأ ونعترف بما حدث ببساطة، ربماً حينها تختلف الموازين ولا نبقى مُجرّد أرقام يكتبها الآخرون بدمائنا... وحتى ذاك اليوم لا نملك سوى الصوت والأغنية الحزينة، والحلم الضائع، الحلم العربي!!!

فضاءات ثقافية

نداء من مثقفين يهود مغاربة ضد اسرائيل

قانا هي رمز للتدمير وتقتيل المدنيين في غزة ولبنان والذي لا يزال يجري عند إصدار هذا النداء.

مرة أخرى، دولة إسرائيل مصابة بجنون القتل وتسوق إلى الأوج سياستها الارهابية الانتحارية بالمشاركة الديبلوماسية واللوجستيكية النشيطة للولايات المتحدة.

بعيدا عن «آليات جانبية»، إن التدمير وتقتيل المدنيين هي في قلب الشروع الصهيوني وفي أساس الدولة الصهيونية التي تحاول دائما ستر وجهها البشع.

لا سلام ولا تفاوض، تبقى دولة إسرائيل مرتكزة على اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه وتحاول رمي مسؤولية جدلية المقاومة/ القمع على المقاومة الفلسطينية واللبنانية!

نحن الموقعين أسفله، على عكس أي منهج طائفي، نوجه هذا النداء إلى جميع من يتمتعون بامتياز اعتبار انفسهم مغاربة يهوداً أو يهوداً مغاربة، هنا في بلدنا وفي كل أنحاء المعمورة. ونناشدهم للتعبير بكل وضوح عن معاناتهم كبشر نساء ورجالاً امام الجرائم التي ترتكب باسم أمن «الدولة اليهودية» واستنكارهم لها. نتقدم ليقفوا من أجل وضع حد لحمام الدم الناتج عن سياسة إسرائيل الارهابية الاستعمارية.

ادمون عمران المليح . ابراهام سرفاتي . سيون اسيدون

الجائزة الكبرى لفيلم بلجيكي في مهرجان الرباط الدولي لسينما المؤلف

الرباط ـ «القدس العربي»:

أعلن مساء الأربعاء بالرباط عن فوز الفيلم البلجيكي «فوندرودي أو آنوتر جور» (الجمعة أو يوم آخر) لمخرجه إيفان لوموان بالجائزة الكبرى لمهرجان الرباط الدولي لسينما المؤلف (جائزة الحسن الثاني).

جاء ذلك في ختام فعاليات الدورة الثانية عشرة لمهرجان الرباط الدولي لسينما المؤلف ومنحت جائزة لجنة التحكيم الخاصة للفيلم البريطاني «الطريق إلى غوانتانامو» لمخرجه ميكائيل وينتر بوتوم، فيما عادت جائزة أحسن دور رجالي للممثل التركي إيردال سيليك عن دوره في فيلم «فرير ديكزيل» (اخوة المنفى) للمخرج يلماز أرسلان، بينما فازت بجائزة أحسن أداء نسائي الممثلة البولونية كريستينا سيلدمان عن دورها في فيلم «ماي نيكيفور» للمخرج مروستوف كراوزي.

أما جائزة الجمهور ففاز بها مناصفة الفيلم الفلسطيني «انتظار» للمخرج رشيد مشهراوي، الذي حاز أيضا على جائزة النقد، والفيلم المصري «عن العشق والهوى» للمخرجة كاملة أبو ذكرى، في حين منحت جائزة الأمل للمخرج المغربي الشاب عبد الواحد بوجنان.

كما نوهت لجنة تحكيم المسابقة بفيلم «طرفاية» للمخرج المغربي داود أولاد السيد.

وتميز حفل اختتام الدورة الثانية عشرة لمهرجان الرباط الدولي لسينما المؤلف بكلمة رئيسة لجنة التحكيم الفنانة المصرية بوسي أكدت فيها تسجيل السينمائيين العرب بكل مرارة وأسى ما يحدث في لبنان وفلسطين من دمار وتقتيل للأطفال والنساء، معتبرة أن الفن وسيلة من بين وسائل أخرى «للدفاع عن أوطاننا وهويتنا وأرواح أبنائنا حتى يسود الحب والسلام».

واكد رئيس المهرجان عبد الحق المنطرش وقوف الفنانين والمبدعين المغاربة مع الشعبين اللبناني والفلسطيني في مواجهتهما للاحتلال الإسرائيلي، مضيفا أن المهرجان أصر على إبقاء المادة السينمائية لأنه عبر الأفلام ومن خلالها «نفضح الغطرسة الهمجية لإسرائيل، وننتصر فيها لقيم السلام والحب والخير والجمال».

وأوضح المنطرش أن دورة هذه السنة من مهرجان الرباط الدولي لسينما المؤلف تميزت بعرض 83 فيلما متنوعة المضامين والأشكال ومتعددة الرؤى والمدارس الفنية، لقيت إقبالا جماهيريا مكثفا إذ شاهدها 65 ألف متفرج، مشيرا إلى أن هذه التظاهرة تنتظم ابتداء من الدورة المقبلة كمهرجان قائم بذاته، وسينعقد أواخر شهر حزيران (يونيو) المقبل.

وتضمن برنامج حفل الاختتام فقرات موسيقية من كل من الفنان الأمازيغي عمر بوتمزوغت، والمجموعة الكورالية، والسوبرانو سميرة القادري رفقة مجموعة (أرابيسك)، والثنائي الذي ضم الفنان السوري سميح شقير والفنانة المغربية الواعدة كريمة اللذين غنيا عن لبنان الصامد في وجه آلة الدمار الإسرائيلية.

الدورة الرابعة لمهرجان الفيلم القصير المتوسطي

■ الرباط ـ «القدس العربي»: تحتضن مدينة طنجة في الفترة ما بين 11 و16 ايلول/ سبتمبر المقبل فعاليات الدورة الرابعة لمهرجان الفيلم القصير المتوسطي.

وأوضح بلاغ للمركز السينمائي المغربي أن برنامج هذه التظاهرة، المفتوحة في وجه آخر الأعمال السينمائية المتوسطية، يشتمل على مسابقة رسمية للفوز بـ«الجائزة الكبرى للمهرجان» و«جائزة أحسن سيناريو» و«الجائزة الخاصة للجنة التحكيم»، كما سيعمل المنظمون على تخصيص جائزة لأحسن دور رجالي ونسائي.

وسيترأس السينمائي المغربي مومن السميحي لجنة التحكيم للدورة الرابعة التي تضم أيضا مديرة المهرجان الإفريقي لطريفة (إسبانيا) مان سيسنيروس، والمخرج والمنتج الفرنسي بيرنار فيرلي، والمخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي، وعالمة الاجتماع المغربية سمية نعمان كسوس.

ويتضمن برنامج هذه التظاهرة التي أضحت موعدا سنويا لهذا النوع من السينما للمبدعين الشباب، ندوات وحلقات نقاش حول الفيلم القصير ينشطها مهنيون سينمائيون مغاربة وأجانب.

وكانت الجائزة الكبرى للدورة السابقة قد عادت للفيلم القصير «نوتر بان كوتيديان» (خبزنا اليومي) لمارتان روسيتي (إسبانيا).

وعادت الجائزة الكبرى لأول عمل للتونسي فارس نعناع عن فيلمه القصير «ماستيغ بور آن ماريياج»، فيما عادت الجائزة الخاصة للجنة التحكيم مناصفة لكل من «بيالا» لدو تييو (اليونان) و«آن لاندي» (يوم اثنين) لتامر السعيد (مصر).

الربع الخالي يلتفّ على الجسد

عادل قَرَشولي*

في غابر حلم
كادت سلالاتُ الحلم ترش الحنطةَ في تربة موّالي
كاد المبضعُ يفتحُ زمانَ الخصب كمحراث
كدنا نطلعُ من نفق الرمل إلى ثمرَ النخل
ولكن الرمل امتدّ إلى الخطوة
سدّ زمان النهر الطالع نحو النخلة بعباءته
سدّ الينبوعَ وسدّ طريق الكنز كغول
سدّ الأفواهَ بأوراق الصحف المليونةْ
سدّ الأعينَ ببريق الأسنان العاجية
في شاشات التلفزيون وسدّ الآذانَ بشمع القهرْ
صار يصبُّ العقمَ بنسغ النخلة
يختارُ لي الأشياءَ البيتيةَ
والأسماءَ الثوريةَ
والأفكارَ السريةَ
يطردُ من ذاكرتي الحلم الموؤودَ
ويرجمُ بحجارالظلمة كل شعاع في طلّة فَجرْ
يزرع في اللحظة صبّار ثمود
ويحاصر كل خلايا الجلدْ

***

اشترى لقمتي
اشترى خطوتي
اشترى نطقتي
اشترى كلّ دواوين الشعرْ
اشترى في جسدي كل خليةْ
اشترى كل هويةْ
اشترى مجهري واشترى كل سرْ
مزق عني ثوب العصر
ولف الجسدَ الضامر بالرمل وألقاني في جبّ

أمضغُ في سنوات القحط الترتيلَ،
وأختزلُ الشوقَ إلى الواحات بموال
أضفرُ إكليلَ العرس، أقدّمه لعروس عاقرْ

***

ما زال جبيني فوق الرمل. شفاهي ما زالت
فوق الرمل. دبيب الحرس الأسود
كالرمل. وهذا الغولُ
جدارٌ صَلدٌ. صنمٌ. سوطٌ مكتوم الصوتْ
وأنا أصرخُ
أصرخُ
أصرخُ
لكن الصوتَ بلا صوت
فالربع الخالي
يلتفّ على جسدي
كالموتْ

***

حملوني سيفاً، صاروا فرساناً باسمي،
ذبحوني بيديّ وعادوا من ساحات الحرب بدوني
حملوني جرحاً، أهدوني شعراً ودموعاً،
دخلوا نفق السلم بدوني
لفوا الجسد الضامرَ بالرمل
وألقوني في الجبّ
فقلت سأجعلُ من كوثر هذا الرمل
ينابيعَ توشح بالنخل
زمان الخصب
ولكنّ حوافرَ كلّ خيول الأرض
وخيول الصحراء
وكاهنةَ الرعب الأكبرْ
تترامحُ ما زالت فوق جثامين القتلى والأرض
المحروقة
لا تترك أثراً غير جراح البيارات وآهات الزعترْ

هذا زمنٌ تحتضر اللحظة فيه، تموتُ،
ولا تترك في خطوة تاريخ أثراً
للنبض الأخضرْ
هذا وطنٌ تضمر فيه الأرض وتضمرُ
تصبح في حجم الكفّ ولا يسأل عنها مجهرْ
هذا وجهٌ مجدوعُ الأنف يعفّره رملٌ سجودٍ
في حضرة كاهنة الذهب الموشومة
بالجوع الأكبرْ
هذي شفةٌ يقهر صرختَها المأهولةَ بالبرعم
ربعٌ خالٍ يختمها بالشمع الأحمرْ

***

أمجاداً قيل بماضيهم كان العربُ
عجبٌ عجبْ
ويهز السلطانَ الطربُ
هل عفنْ
عفنٌ هذا الدمْ
صرختنا ليست في حجم الفمْ
زغرودتنا ليست في حجم العرس
وليست في حجم المأتمْ
حُذفتْ كلّ حروف الضادْ
من أسماء الوطن العربي الحسنى
من عهد ثمود أو عادْ
أمجادْ
ياعربْ
أمجادْ

***

خذ من كفي السكينْ
إذبحْ
الرقيةُ عاريةٌ
إذبحْ
الحلبةُ خاويةٌ
إذبحْ
الرايةُ هاويةٌ
لم يبقَ لنا غيرُ الذبحْ
لم يبق لنا غيرُ الملحِ يُرشُّ على الجرحْ
إذبحْ
إذبحْ
قال الرملُ لسكّين الجلادْ
وإلى ميعادٍ في طرواد
أمجادْ
ياعربْ
أمجادْ

***

عبثاً أبحث عن جسدي بين القتلى
جسدي لم يشهدْ مجزرةً إلا في شاشة تلفزيونْ
جسدي لم يوقدْ مجمرةً إلا همساً بين الجدرانْ
جسدي يتعفنُ فوق فراش الكلماتْ

***

أقفزُ بالكلمة فوق الحدث الداهم
كي أتخطّى ظلي
لكن الظلّ يلاحقني
والحدثُ الداهم يدهمني
أهرب بالكلمة، لا مهربْ
من هذا الربع الخالي
ألجأ للكلمة، لا ملجأْ
أتغطى بالكلمة
لا دفء يقيني ثلجَ العالم من حولي

***

أتمنطقُ بالمنطق
أخترقُ الحدثَ الداهمَ بالكلمة كي أصبحَ حدثاً
في الحدث الداهم
أخترق الظل لكي أتوحد والظلْ
وأسمي الأشياء بأسماء الأشياء
فيأتي مسرورٌ يا أبتي
يأتي كي يختمَ بالشمع الأحمر
شفتي
أعرف أن الصرخةَ في زمن القرصان دمْ
ودمُ هذا الحلم المبتورْ
ودمُ هذا الحبرُ المتيبس في شفة القلم المكسورْ

ودمُ هذا الرملُ المتوجسُ بالقاربِ يدنو من شاطىء
حلُمْ
ودمُ حبل السرّة ما بين الكلمة والفمْ
كم حرباً بعدْ
وكم قبراً
كم وجهاً يحمل هذا الوجهْ
وكم عقماً في هذا العقمْ

***

أعرف أن الكلمة لا تحمي طفلاً من نارْ
لا ترفع عن صدر الأم البيت المهدومْ
لا تدرأ عن سرة بنت في عمر الفجر الطالع للتو
شظيةْ لكن الكلمة تشهدْ
أني أتبرأ من جسد يلتف بهذا الربع الخالي
أتبرأ من دمع يتجلّدُ بالصبر فيصبح مثل جليد في
العينينْ
أتبرأ من صخب العالم بضميريَهْ
ولسانَيْهِ المشطورَيْنْ

***

والكلمة تشهدْ
أني ألمحُهُ عبدَ اللهْ
يطلع من جرح حروب الردةِ
من سحب العجز المتدّة
من زبد النفط إلى الثورات القبلية
يطلع من طين الفقر ورحم القهر
وصرخة أمّ فوق رضيع حرقتْهُ
القنبلةُ بعزّ الظهر
ولم يأت الإطفاءُ ولا الإسعافُ
من المؤتمرات العبثية
لا
ليس بحلاج عبدُ الله
وليس الزيرُ وليس بطارقَ
ليس أبا ذرٍّ أو عنترةَ العبسيّ
وليس المهديْ
بل هو إبن الطين وإبن الخيمةْ
إبن الركض وراء السقف وخلف اللقمةْ
إبن المهر الجامح فوق جبال الرفض الممتدة
من نصل الترتيل إلى القنبلة الموقوتة
في الصرخات المكبوتة
والقبضات المخفيةْ
يطلع في يده الخنجرُ لا المجهرُ
من سفر القهرِ
وقمقم آهْ
يا نبعَ السوسنِ
يا دربَ الكنز
ويا شفةً تقتتلُ الصرخة فيها
قلت سأجعلُ من كوثر هذا الرملِ
ينابيعَ توشح بالنخلِ
زمان الخصبِ
ولكني
ضيعت الصوتْ
ضيعت النبضَ الأخضرْ
ضيعت المجهرْ
وأنا أركعُ في حضرة كاهنة الرعب الأكبرْ
فمتى يا أهل الدار، متى
أخترقُ جدارَ الصمت، متى
أخلعُ عن جلدي الموتَ، متى
أخرجُ من هذا الربع الخالي

* شاعر من سورية